وأما حقوق النساء في الجاهلية فلم تكن شيئاً مذكوراً وكانوا يستحلون أكل أموالهن ويضلونهن أي يمنعونهن الزواج لذلك حتى جاء الاسلام فجعل النساء مساويات للرجال في كل شيء الا الولاية العامة والخلافة وذلك قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)

رحلة القسطنطينية

﴿ أو اقامة عام ، في عاصمة الاسلام ﴾

علم قراء المقتطف كافة سبب رحلتنا في أواخر رمضان من العام الماضي الى هذه العاصمة وشيئاً من خبر عملنا وسعينا فيها ، اما وقد عدنا منها الى مصر في أوائل هذا الشهر ، فاننا نذكرهم ملخص ما بلغ اليه السعي ،

مسألة العرب والترك

اشرنا في أول مقالة كتبناها عن الانقلاب العثماني عند حدوثه الى العقبات التي يخشى أن تعوق سير الدستور ومنها تعصب العناصر العثمانية لجنسياتها وقد وقع ما توقعنا فقد قام كل عنصر يسعى لتقوية عنصره . فأما البوشاق والبلغار والارمن فلا تسأل عما قالوا أو فعلوا ، ولا تعجب عما افتروا وعللوا ، على أن الارمن أعطوا حتى رضوا ، ولا سبيل الى مرضاة قوم لهم دولة تنازع الدولة العلية في أملاكها ، وتطمع حتى في عاصمة ملكها ، واما الاروام والكرد والجركس فقد قاموا يسعون لتدوين لغاتهم ، وترقية أجناسهم ، ولكل منهم في العاصمة أندية وجمعيات ، وأما العرب فأسسوا عقب الانقلاب جمعية سموها جمعية الاخاء العربي فكنت أنا وكل من اعرف من العرب العثمانيين في مصر وسورية كارهين لتأسيسها ولما زرت سورية كنت أنفر الناس منها . ثم ألفيت لأن الرأي العام العربي لم يأخذ بيدها لأنه لم يكن يجب ان يعمل عملاً ما في الدولة باسم العرب ، ذلك بأن رأينا أن بقاء الدولة يتوقف على اتحاد

الترك بالعرب فيها ولكن قام بعض أصحاب الجرائد التركية في الآستانة بالدعوة الى الجنسية التركية وحفظ السيادة للعنصر التركي والتنفير من العرب ودعوة الترك الى الاستغناء عن اللغة العربية حتى عن القرآن العربي بترجمته الى اللغة التركية وبتطهير التركية من الألفاظ العربية ، فتألم العرب من هذه الأقوال وزادهم تألما أفعال أخطأت فيها الحكومة بناها في مقالات (العرب والترك) التي نشرناها في جرائد الآستانة التركية والعربية فلا نعجب إعادتها

رأينا الحديث قد كثر في هذه المسألة وتناولتها أقلام الكتاب والشعراء فخشينا ان تم وتصير مقررة عند العامة فيصعب نزع سوء التفاهم ويتعسر ما نجب من الاتحاد والاعتصام فكان أول سعينا في الآستانة موجها الى إزالة سوء التفاهم بين العنصرين فكتبنا تلك المقالات الست واخترنا لنشر ترجمتها بالتركية جريدة إقدام لأنها كانت من الجرائد التي آذنت العرب بعصبيتها الجنسية عسى أن يزول ذلك بما ننشر فيها ، ثم كان أول من كلمناه في ذلك هو الصدر الأعظم فاعترف لنا بأن الحكومة والجمعية اخطأتا في بعض تلك الامور قال ولكن ليس هنالك سوء نية وانه سيتدارك ذلك بالفعل . وكلمت في ذلك أيضا محمود شوكت باشا وناظر الداخلية وغيرهما من الكبراء ، وقد اتهمني بعض الكتبة العربية في أول الأمر بمصانعة الترك أو الحكومة ثم بلوني وخبروني وعلموا اني مخلص فيما أوافقهم وفيما أخالفهم فيه وبذلك تيسر لي أن اقنعهم بما اقتنعت به بعد طول اختبار الآستانة ورجالها وهو ان العرب والترك عنصران يكونان حقيقة واحدة كالعنصرين المكونين لحقيقة الماء أو الهواء وان الاسلام قد ألف بينهما هذا التأليف وزادته قوة مصلحة بقاء هذه الدولة بهما والخطر عليها من تفرقهما ، وان الذين تحاملوا على العرب واللغة العربية من المتفرنجين مختلفو الأصول فمنهم من أصله تركي ومنهم من أصله عربي ولعلنا لو بحثنا عن انسابهم لوجدنا اكثر آبائهم من الروم والارمن واليهود والنور وانه لا يجوز لاحد من العرب أن يجعل ذنبهم ذنبا للعنصر التركي ولا أن يحمل سعي الترك لترقية شعبهم منافيا لأخوة العرب ما دام خاليا من العصبية الجنسية كما لا يجوز لطلاب ترقية العرب ان يقصدوا بذلك الا التمهيد للاتحاد بالترك والقيام معهم بتأييد الدولة

واعزازها هذا هو رأيي الذي وافقني عليه العقلاء من الترك والعرب في العاصمة وان كان يوجد فيها من المتعصبين المبغضين للعرب الذين يستترون ببغضهم بأماديح النفاق من بحرف كلامنا في الترفيق والتأليف عن مواضعه لينفروا اخواننا الترك منا والله من ورائهم محيط . وقد تداركت الحكومة بعض خطأها بإلغاء ما كانت امرت به من وجوب جعل المرافعات في محاكم البلاد العربية باللغة التركية وعدم قبول ما يقدم الى الحكومة من شكوى وغيرها باللغة العربية، كانت شرعت في هذا وذاك ثم علمت بتعذره وبسوء أثره فمنعته ، ثم انها عينت في مدارسها الاعدادية عشر معلمين للغة العربية وذلك فاتحة خير ان شاء الله تعالى

مشروع العلم والارشاد

هذا هو المشروع الاعظم الذي هو المقصد الاول لي من الرحلة بل من الحياة كلها وهو اذا نفذ يقوي الرابطة والاخوة بين العرب والترك وبين غيرهم من المسلمين كالاكراد والكرد بل يؤلف بين المسلمين وغيرهم من الملل كما يقتضي الاسلام — لان كل ما تصوره وادركه من إصلاح حال المسلمين محصور فيه ولذلك كان جل السعي أو كله في هذه السنة لهذا المشروع و بعد العناء الطويل والمراجعات الكثيرة واللجان المتعددة التي عقدت المناقشات فيه وقتنا التأسيس جمعية العلم والارشاد كما عرف القراء وقد وافقت الحكومة على تأسيسها رسميا وعرف القراء ما نشر نا في الجزء السادس أن من أعضائها المؤسسين موسى كاظم افندي الذي صار بعد التأسيس شيخ الاسلام المملكة ورئيس الشرف للجمعية ومنهم مستشار المشيخة، والرئيس الثاني لمجلس المبعوثين ورئيس كتاب مجلس الشورى وغيرهم من خيار رجال العاصمة فليراجع من شاء اسماء وقانون الجمعية في ذلك الجزء من منار هذه السنة

بعد التصديق الرسمي على نظام الجمعية توسلنا بمولانا شيخ الاسلام الى الحكومة لتقرر لنا ما وعدتنا به من المساعدة المالية لتأسيس مدرسة دار العلم والارشاد، فكتب أحسن الله جزاءه مذكرة للصدر الاعظم بعد مذاكرته في ذلك والاتفاق معه طلب فيها ان تعطى جمعية العلم والارشاد ثلاثة آلاف ليرة لاجل تأسيس المدرسة المذكورة في نظامها الاساسي وان يقرر مجلس الوكلاء جعل نفقات هذه المدرسة بالغة ما بلغت في ميزانية نظارة الاوقاف من ابتداء السنة المالية القابلة . فوضعت مذكرة الشيخ

موضع المذاكرة في مجلس الوكلاء الخاص فقرر المجلس قبول المذكرة والموافقة على المبلغ المطلوب واستحسان نظام الجمعية الا انه ذكر في صورة القرار الذي بلغ من مقام الصدارة الى المشيخة ونظارتي الاوقاف والمعارف ان المجلس استحسن ان يعبر عنها « بالمجمن علم وارشاد » بدل (جمعية العلم والارشاد) وأن تكون المدرسة تحت ادارة ومسئولية شيخ الاسلام

بلغنا شيخ الاسلام قرار مجلس الوكلاء فاجتمع مجلس ادارة الجمعية يوم الجمعة (١٩ رمضان ـ ٢٣ سبتمبر) للمذاكرة فيه فقرر الاعتراض على جعل المدرسة تحت مسئولية شيخ الاسلام لأنها تكون بذلك رسمية وقد بلغ الكاتب العام للجمعية شيخ الاسلام ذلك كتابة وتكلم معه في وجوب جعل المدرسة خاصة بالجمعية خالية من الصفة الرسمية فوافق الشيخ على ذلك ووعد وعدا مؤكدا بالكتابة الى الباب العالي بوجوب تعديل قرار مجلس الوكلاء وجعل المدرسة مما يطلقون عليه اسم « المكاتب الخصوصية » وكذلك قال ناظر المعارف ووعد بعض اعضاء الجمعية بالكتابة الى الباب العالي بذلك وصرح بأن جعل المكتب ذا علاقة بالحكومة ضار وانه خلاف ما كان اتفق عليه ، ولماذا يكون ضارا ؟

صرحنا في المادة الثالثة من نظام الجمعية الاساسي بأن هذه الجمعية لا تشتغل بسياسة الدولة العلية الداخلية ولا الخارجية ولا سياسة غيرها من الدول ولكنها تراعي القانون الاساسي وتؤيده ، ونص المادة الثانية المبينة مقصدها هو

« المادة الثانية ـ مقصد هذه الجمعية الجمع بين التربية الاسلامية وتعليم العلوم الدينية والدنيوية والتصنيف فيها وتتوسل الى ذلك بانشاء مدرسة كلية في دار السعادة باسم « دار العلم والارشاد » لتخريج العلماء والمرشدين »

فالمراد من الجمعية ومدرستها الكلية هو الاصلاح الديني الاجتماعي اي إنارة عقول المسلمين بالعلوم النافعة وتربية نفوسهم تربية صالحة ليعلموا كيف يعمروا دنياهم مع حفظ دينهم ذي الآداب العالية أن ينال منه الخراب . ويدخل في ذلك اقتباسهم لما لا بد لهم منه من المدنية العصرية وفنونها وأعمالها . فاذا دخلت السياسة في مثل هذا العمل أفسدته . ولا شك أن الدول الاوربية تعد جعله تحت ادارة شيخ

الاسلام عين السياسة وتتهم الدولة بأنها تريد به تهييج التعصب الاسلامي لان شيخ الاسلام هو العضو الأول في مجلس وزراء الدولة وإذا قاومت أوربا هذا المشروع لا يثمر الثمرة المطلوبة ولا تتقى مقاومة أوربا الا بجعله في معزل على السياسة والحكومة ظاهرا و باطنا لأن الذين اكتشفوا الاشعة التي تخترق الكثائف حتى يرى ما وراءها ورضعوا المناظير المكبرة التي يرى بها ما لم تكن ترى مثله زرقاء اليمامة لا يسهل على أمثالنا في ضعفنا وجهلنا ان نخدعهم ، واذا كان هذا العمل في أيدي جمعية مخلصة ليس لها صفة رسمية لا يمكنهم أن يعترضوا عليها اعتراضا رسميا واذا اتهموها بالسياسة باطلا سهل عليها مع الصدق والاخلاص اقناعهم ببراءتها كما وقع للجمعية الخيرية الاسلامية بمصر ، اتهمت بالسياسة ومساعدة مهدي السودان على الحرب ولكن لم تلبث أن ظهرت براءتها باخلاص رجالها

هذا هو رأيي و رأي محمود شوكت باشا ذكره لي قبل ان أذكره له ووافق عليه شيخ الاسلام وناظر المعارف وهو رأي أعضاء الجمعية المؤسسين أيضا ولاجل هذا يسعون في تعديل قرار مجلس الوكلاء . ولولا هذا لوافقت ناظر الداخلية أولا وشيخ الاسلام أخيرا على جعل نفقات المدرسة من المالية دون الاوقاف ولكني ما زلت اراجع في ذلك من أول السعي الى آخره اذ قال لي شيخ الاسلام في يوم الاثنين ١٦ أو ١٧ شعبان (٢٢ اغسطس غ) ان الوكلاء الفخام يرون من المناسب ان تكون نفقات المكتب السنوية في ميزانية العلمية (التابعة للمشيخة الاسلامية) وأنا أرى ذلك لان هذه خدمة دينية من جنس خدمة المشيخة فيحسن ان تكون نفقتها تابعة لها فماتقول انت ياعزيزي (قلت) ماترونه حسنا فهو حسن ولكني لاأزال أرى ان تجعل نفقات مكتبنا في ميزانية الاوقاف حتى لايكون للمشيخة وجه للتداخل في امره إذ الاولى أن يكون مستقلا تمام الاستقلال دونها الخ ماقلته ووافقني عليه بل قلت لغيره من العظماء لولا اني خشيت ان تسيء الدولة الظن بالمشروع لاقترحت ان يكون في الحجاز أو في مصر وأقول الآن اذا لم يعدل مجلس الوكلاء القرار كما وعد شيخ الاسلام وناظر المعارف فالمسلمون لا يستغنون عن جمعية اخرى كهذه الجمعية يكون مركزها مصر لان جمعية الاستانة لا تأتي بالفائدة المطلوبة اذا كانت رسمية أو شبه رسمية

* * *